الفصل الثالث

تربية العواطف

ويشتمل على دراسة الموضوعات التالية:

* تعريف العاطفة.
* أنواع العواطف.
* العاطفة في الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين.
* دراسة لبعض العواطف في ضوء المنهج الإسلامي للتربية.
* إبدال العواطف في ضوء القرآن والسنة.
* العاطفة عند علماء النفس.
* أنواع العواطف.
* تكوين العواطف عند علماء النفس.
* دراسة لأهم العواطف السائدة من وجهة نظر علماء النفس.

obeikandl.com

obeikandl.com

تربية العواطف في الإسلام

العاطفة في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط من معاني (**عطف**) ما يلي:

(**عَطَفَ**) عَطْفاً، وَعُطُوفاً: مال وانحنى.

(**تَعَاطف**) القوم: **عطف** بعضهم على بعض.

(**استَعْطَفَه**): سأله أن يعطف عليه.

(**العَاطفَةُ**) القرابة: والعاطفة: أسباب القرابة والصلة من جهة الولاء والعاطفة: الشفقة: وفي (علم النفس) استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء»

وجاء في محيط المحيط من معاني مادة (**عطف**) ما يلي:

(**عَطَفَ**) كلمة على أخرى: أتبعها إيّاها بالعطف.

(**تَعَطَّفَ**) عليه: أشفق عليه ورق له ووصله وبره.

(**العَاطِفَةُ**): مؤنث العاطف والجمع عطفات وعواطف.

(**العَاطِفَةُ**) «الشفقة يقال تثنيني عليك عاطفة من رحم وقرابة».

تـأتي مادة عـطف على معاني كثيـرة تدور أغلبهـا نحـو الميـل والتثني والإنحنـاء لفعـل الشيء، وتـأتي بمعنى العـطف والشفقـة والقرابة والولاء إلى غير ذلك من المعاني، كميـل الشخص إلى آخر أو ميله إلى القيـام بفعل معين أو معنى من المعـاني ذات التـأثيـر في الحياة.

العواطف في القرآن الكريم:

جاءت مادة (**عطف**) في القرآن الكريم مرة واحدة في قولـه تعالى: ﴿**ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله لـه في الدنيـا خزي ونـذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**﴾[1].

لقد جاءت مادة(**عطف**) في القرآن الكريم مـرة واحدة ومعنـاها أعـرض عن قبول الحق وجـادل في الله بغير علم رغبـة في الضـلال والإضلال عن سبيل الله تعالى.

ولم تأت بمعنى ميـل النفس إلى الشيء والإنعـطاف عليـه أو النفور منه، غير أن القرآن الكريم قد استعمل ألفاظاً أخرى تدل على رغبة النفس وميلها إلى موضوعـات معينة، وألفـاظاً تـدل على التقزز والنفور من موضوعات معينة.

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَـوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيـرٍ مِنَ الأَمْـرِ لَعَنِتُّم، وَلَكِنَ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَـانَ وَزَيَّنَـهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَـرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْـرَ وَالْـفُسُـوقَ وَالْـعِصْيَـانَ أُولَئِـكَ هُمُ الْرَّاشِدُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات آية: (٧).

تشتمل الآية الكريمة على عاطفتين متقابلتين على سبيل التضاد وهما عاطفة الحب والكراهية.

أما العاطفة الأولى: فهي عاطفة حب الإيمان، وقد أفاد التضعيف في قوله تعالى: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإيمان وزينه في قلوبكم**﴾ أن موضوع العاطفة وهو الإيمان قد أثار مجموعة من الإنفعالات السارة، منها: الشعور بالأمن والثقة والثبات والصدق والفوز والرشد والنعمة، كما أثار ﴿**زينه**﴾ مجموعة من الإنفعالات نحو الموضوع ذاته كالشعور بالحسن والإحساس بالجمال والطيب وغير ذلك من الإنفعالات السارة التي يبثها الإيمان في النفوس وتدل عليها لفظتي ﴿**حبب وزين**﴾.

أما العاطفة الثانية: وهي: كراهية الكفر والفسوق والعصيان.

فقد أفاد التضعيف في قوله تعالى: ﴿**كره إليكم**﴾ أن موضوع عاطفة كراهية الكفر قد أثار مجموعة من الإنفعالات الضارة المنفرة، منها الخوف والفزع والإضطراب والتمرد والحيرة، وغشيان المحارم وركوب الشر وغير ذلك من الإنفعالات المؤلمة.

هذه الإنفعالات والخواطر النفسية تتوارد على شعور المؤمن في الغداة والعشّي، وينشأ عن كثرة ورودها تركيز الإنفعالات حول موضوعها، فتغدو عاطفة محبة الإيمان أقوى عواطف الإنسان المسلم وتسود هذه العاطفة سائر عواطف المؤمن.

أنواع العواطف

قسم بعض علماء النفس المسلمين ـ في العصر الحديث ـ العاطفة إلى قسمين:

أولاً: من حيث نوعية العاطفة.

ثانياً: من حيث الموضوع الموجه إليه العاطفة.

أولاً: من حيث نوعية العاطفة:

(١) ـ **عاطفة الحب**: وهي التي تدعو صاحبها إلى الإقدام على موضوعها.

(٢) ـ **عاطفة الكراهية**: «وهي التي تدعو صاحبها إلى الإحجام عن موضوعها والنفور منه»[١].

أما النوع الأول فقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من العواطف التي تستهوي النفس وتستميل القلب، في مثل قول الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**

---

(١) قراءات في علم النفس (ص ١٩٤) د/ محمد منسى.

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1].

تشتمل الآية الكريمة على حشد هائل من العواطف المادية التي تتطلع إليها النفس، وهي عواطف طبيعية لا غنى للإنسان عنها، والقرآن الكريم يعرض هذه الشهوات المحببة إلى النفس والقلب في صورة رائقة مشرقة ، لا نفور ولا تقزز ولا اشمئزاز، فتظل كذلك على طبيعتها مألوفة محببة، فهذه الرغبات ذات أصل فطري مركوز في طبيعتنا، فلا خير للإنسان في كبتها أو قمعها، لتنافي ذلك مع طبيعة الإستخلاف في الأرض لعمارتها والإستفادة بما فيها من خيرات ونعم لا تحصى ولا يبلغها عد، والقرآن الكريم لا يقر كبت هذه الرغبات ولا قمعها غاية الأمر أنه يعمل على تنظيمها، ذلك أن إطلاق الشهوات والرغبات مركب جموع غير مأمون العواقب، وهو من قبل مخالف لطبيعة الفطرة، ولهذا كان ختام الآية أشبه بصمام الأمان الذي يحول دون إطلاق الشهوات ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

أما النوع الثاني: (عاطفة الكراهية):

لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من المواقف الشعورية التي تدعو إلى الإحجام والنفور من موضوعها في مثل قول الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّه بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٤).

(٢) سورة الأنفال آية: (٨).

الْكَافِرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[2].

تشتمل الآية الأخيرة على عاطفتين متضادتين، ذلك أن الفرح يثير الشعور بالسرور والبهجة والأنس، والكراهية تثير الشعور بالنفور والإنقباض والغضب أو الشعور بالحسرة والألم، وإذا أمعنا النظر وجدنا أن العاطفتين من قبيل العواطف المعكوسة، ذلك أن التخلف عن رسول الله ﷺ والقعود عن الخروج معه ليس من الموضوعات التي تثير الفرح والسرور، بل يثير الشعور بالذلة والحقارة وانعدام المروءةوالخور والجبن وضعف الهمة والإرادة وعدم الشعور بالثبات وضعف الإيمان وغير ذلك من الإنفعالات المستنكرة.

كما أن الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال يثير الشعور بالشجاعة وعلو الهمة والنخوة والصبر والتحمل للمكاره والبذل الكريم الذي لا تعظم أمامه نفس أو ولد أو مال وإن بلغ ما بلغ نفاسة وقدراً.

إن الجهاد في سبيل الله يثير عاطفة المحبة في نفوس المؤمنين، ويثير عاطفة الكراهية في نفوس الكافرين والمنافقين، وتلك سنة الله فيهم فقد كره سبحانه خروجهم ووجودهم بين صفوف المؤمنين، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ

---

(١) سورة التوبة آية: (٣٢).
(٢) سورة التوبة آية: (٨١).

الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(١).

ثانياً: من حيث الموضوع الموجه إليه العاطفة:

(١) -**عواطف تتعلق بالمثل العليا**: وهي التي تتخذ من المثل العليا موضوعاً لها كحب العدل والخير وكراهية الظلم والرذيلة إلى غير ذلك من المثل العليا.

(٢) -**عواطف جمعية**:وهي التي تدور موضوعاتها حول جماعة معينة.

مصداقاً لقوله تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً. .﴾**(٢).

(٣) - **عواطف فردية**: «وهي التي تتجه نحو فرد معين، مثل حب الأم لطفلها، أو حب الطفل لأمه، أو حب التلميذ للمدرس، أو حب المؤمن لأخيه المؤمن. . .»(٣).

وفيما يلي دراسة موجزة لبعض هذه العواطف في ضوء القرآن والسنة:

[١] - عواطف تتعلق بالمثل العليا:

لقد اشتمل القرآن الكريم على جميع الفضائل الأخلاقية والسلوكية، لذا فإن منهج التربية الإسلامية يحرص على تربية جميع

---

(١) سورة التوبة آية: (٤٦، ٤٧). (٢) سورة الفتح آية: (٢٩).
(٣) قراءات في علم النفس (ص ١٩٤).

العواطف الإنسانية التي تنفع المسلمين في دينهم ودنياهم وآخرتهم، فاهتم المنهج بتربية عاطفة محبة الله سبحانه وتعالى والإيمان به ومحبة رسول الله ﷺ والتصديق له ومحبة العدل والرحمة والعفو والإحسان والبر والتعاون على الخير والصدق والصبر والإيثار، كما عني المنهج بتربية عواطف الكراهية والمقت للشرك والفساد والمعصية والعدوان والظلم والبغي والغيبة وكراهية النفاق والمنافقين والكافرين جميعاً ومقاطعتهم وعدم موالاتهم أو مودتهم وقرر المنهج محبة ومودة المؤمنين بعضهم لبعض وشدد على ضرورة موالاة بعضهم بعضاً، وحثهم الله على ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

إن رابطة الإيمان من أقوى العواطف الإنسانية وأسماها فهي تؤلف بفضل الله بين قلوب المؤمنين جميعاً وإن تباعدت ديسارهم واختلفت ألسنتهم وألوانهم، فمظاهر الإختلاف هذه لا يعتد بها ولا يلتفت إليها، ذلك أن الإيمان الصحيح يجمع هذه القلوب على قلب واحد وجسد واحد، ولما كان هذا المستوى الرفيع من الخلق والسلوك، قد يتعرض لهزات تنشأ عادة بسبب اختلاف الطبائع والعادات والمفاهيم، أو بسبب الفتنة والوشاية بواسطة المنافقين والكافرين، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساساً قوياً يحافظ على وحدة القلوب ودفع الفتنة والوشاية،

---

(١) سورة التوبة آية: (٧١).

وتقوية دوافع الولاء بين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، والإحساس بحاجات بعضهم بعضاً، لتزداد قلوبهم ألفة ورابطتهم تماسكاً.

[٢] ـ عواطف جمعية:

وهي العواطف التي تدور موضوعاتها حول جماعة معينة، اشتمل القرآن الكريم على الكثير من العواطف الجمعية، مثل محبة المراهق المسلم لأفراد أسرته وعائلته، وحبه للمسلمين جميعاً، ومثل عاطفة حسن الجوار، وعاطفة كراهية الكافرين وعدم موالاتهم.

إن الله سبحانه وتعالى قد حذر عباده المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء أو أن تكون بينهم مودة. فقال تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤمنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أن تَتَّقُوا تُقَاةً**

---

(١) سورة الممتحنة آية: (١).
(٢) سورة المائدة آية: (٥١).

وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2].

إن عاطفة الولاء للكافرين ومودتهم قد أولاها القرآن اهتماماً مناسباً لخطورتها، فلقد تناول القرآن الكريم هذه العاطفة في مواضع متفرقة في الكتاب العزيز، فتحدد بذلك نوع العلاقة المسموح بها في التعامل معهم، في جميع الأحوال والمجالات، وأجمل فيما يلي أهم المظاهر التي اشتملت عليها الآيات السابقة.

(١) ـ أن الكافرين أعداء الله سبحانه وتعالى وللمؤمنين.

(٢) ـ نهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء.

(٣) ـ نهى الله المؤمنين عن مودة الكافرين.

(٤) ـ أن علم الله سبحانه وتعالى محيط بما ظهر من السلوك ومثله ما خفي في الصدور.

(٥) ـ أن اليهود والنصارى وملل الكفر والإلحاد قاطبة يوالي بعضهم بعضاً.

(٦) ـ أن من يتخذ الكافرين أولياء فقد صار منهم، ومن يفعله فهو من الضالين الظالمين.

(٧) ـ «أن التقية هي السلوك الوحيد المسموح به في علاقة المؤمنين مع الكافرين في حالة الضعف وأما من قوى يقينه فلا يخشى إلا الله، وفرق بين الولاء والمودة وبين التقية، فإن التقية لا

---

(١) سورة آل عمران آية: (٢٨).

(٢) سورة المائدة آية: (٥٥، ٥٦).

محل لها في القلب وإنما تكون بظاهر السلوك واللسان»[1].

(٨) - إن المؤمنين وليهم الله ورسوله.

(٩) - إن المؤمنين هم الغالبون المنصورون، ذلك أنهم حزب الله.

بهذا البيان الموجز يتضح أن القرآن الكريم قد قطع جميع السبل أمام عاطفة مودة الكافرين وولاءهم، فلم يعد ممكناً أن يثار انفعال المودة فضلاً عن انفعالات متعددة تتركز حول موضوع هذه العاطفة لتساعد على تكوينها، فقلوب المؤمنين موصدة مغلقة لا تسمح بانفعال لها يثار، ذلك أن قلب المؤمن ليس به ثمة ذرة لمودة كافر أو ولاء له وإن كان إبناً أو أباً.

«والله يعد الذين آمنوا في مقابل الثقة به، والإلتجاء إليه والولاء له وحده، ولرسوله وللمؤمنين بالتبعية ومقابل المفاصلة الكاملة بينهم وبين جميع الصفوف إلا الصف الذي يتمحض لله.. بعدهم النصر والغلبة..».

إن قلوب الكافرين جميعاً مملؤة بعواطف البغض والكراهية والحقد والحسد والعداوة وغير ذلك من العواطف المستنكرة، وإنه على الرغم من ذلك فإن القرآن في منهجه التربوي لم يدع المؤمنين إلى بغضهم أو إثارة الحقد عليهم، ذلك أنه لا يقر البغض والحقد والحسد لما في ذلك من آثار مدمرة للصحة النفسية، وغاية الأمر أن القرآن نهى المؤمنين وحذرهم من ولاء الكافرين ومودتهم، حتى كشف عن قلوب الكافرين ومودتهم، وما انطوت عليه من البغض

---

(١) انظر روح المعاني (جـ٣ ص ١٤١).

الدقيق للمؤمنين، فلم يأذن الله ببغضهم، وإنما حرم موالاتهم واتخاذ بطانة منهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران آية: (١١٨).

obeikandl.com

العاطفة في الدراسات النفسية
عند العلماء المسلمين القدامى

لقد اهتم الفلاسفة المسلمون بالدراسات النفسية، وقد أولوا الجانب الوجداني اهتماماً كبيراً لما له من تأثير على السلوك، ومن أشهر من تناول هذا الموضوع الإمام أبو حامد الغزالي في كثير من مؤلفاته، وأهمها معارج القدس في مدارج معرفة النفس، وكتاب إحياء علوم الدين في جزئيه الثالث والرابع بصفة خاصة، ولقد تناول أبو حامد موضوع العاطفة ببيان حقيقتها وأسباب ومراحل تكونها وأنواعها واختلاف موضوعاتها وآثارها في الطبع والسلوك، غير أنه لم يطلق على السلوك النزوعي الثابت (إسم العاطفة) وهو المصطلح الذي أطلقه علماء النفس على السلوك الوجداني الثابت تجاه موضوع معين، وقد أطلق الإمام أبو حامد لفظة (ميل) على بداية اتجاه النفس بالقبول لشيء معين، فإذا ما تكرر هذا السلوك وازداد ثباتاً وقوة، أطلق عليه لفظة العشق، وإذا كان مؤلماً وفي الطبع ميل إلى النفرة منه سماه مقتاً، وهذا ما عناه علماء النفس بعاطفة المحبة أو الكراهية.

«إن أول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف

بالحب جماد، بل هو من خاصية الحي المدرك، ثم المدركات في إنقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويُلِذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ، فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك، وكل ما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك، وما يخلو من استعقاب ألم ولذة، فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً، فإذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به، ومعنى كونه محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه، ومعنى كونه مبغوضاً أن في الطبع نفرة عنه، فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمى عشقاً، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي سمى مقتاً، فهذا أصل في حقيقته معنى الحب والبغض لا بد من معرفته»[1].

ونلاحظ على النص السابق ما يلي:

(١) ـ وجود صلة وثيقة بين العاطفة والإدراك العقلي.

(٢) ـ أن العواطف إتجاه نفسي خاص بالإنسان.

(٣) ـ أن الإمام أبو حامد يقسم العاطفة بحسب موضوعها إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ ما يوافق طبع المدرك (محبة).

ب ـ ما لا يوافق طبع المدرك (بغض).

جـ ـ ما خلا من استعقاب ألم أو لذة.

بينما علماء النفس قاطبة يقسمون العاطفة بحسب نوعها إلى قسمين رئيسيين:

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٤ ص ٢٥٤) ـ باب حقيقة المحبة.

أ ـ عاطفة المحبة.

ب ـ عاطفة الكراهية.

وبهذا يظهر تميز الدراسات النفسية ـ عند العلماء المسلمين بالدقة وشمول التصنيف ذلك أنا نلاحظ في الحياة اليومية توفر وجود القسم الثالث الذي قال به الغزالي، حيث إن بعض المواقف السلوكية نمر بها قد لا تثير فينا الشعور بالألم أو اللذة، ولعل حصر علماء النفس العاطفة في هذين القسمين يرجع إلى اهتمامهم بالموضوعات ذات التأثير المباشر في حياتنا الوجدانية، وتفاعلنا مع ما يثير فينا الشعور بالألم أو اللذة، وهذا لا يعني خلو الحياة من الأشياء والموضوعات التي لا تثير فينا ذلك، وعلى كل فإن تقسيم الغزالي أدق وأشمل.

(٤) ـ أن العشق أو (العاطفة) تتكون بتكرار وتأكيد الميل إلى ما يوافق الطبع.

(٥) ـ أن المقت أو (الكراهية) تتكون بتكرار نفرة الطبع مما يؤلم.

كما أن الإمام أبا حامد قد أعطى تفسيراً وتفصيلاً أوسع لموضوعات العواطف ومنجزاتها ووسائل الشعور بها، حيث قسم موضوعات العواطف المادية على الحواس الخمس، واعتبر الحاسة السادسة وهي القلب أو البصيرة لإدراك الموضوعات المعنوية كمحبة الله سبحانه ومحبة العدل والخير. فقال:

«إن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب

تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين، ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي كان للطبع السليم ميل إليها. . فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قصر به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً»[1].

ويستمر الإمام أبو حامد في الإيضاح والتفصيل للعواطف وموضوعاتها ومثيراتها ومدى تأثيرها في حياتنا الوجدانية وسلوكنا الإجتماعي، واكتفى بهذا القدر كي لا تتشعب بنا الدراسة.

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٤ ص ٢٥٤).

دراسة موجزة لبعض العواطف
في ضوء المنهج الإسلامي للتربية

[١] ـ عاطفة الأخوة:

إن تربية عاطفة الأخوة في جميع أفراد المجتمع المسلم، تؤدي حتماً إلى تنظيم سلوك المراهق مع نفسه ومع غيره من أفراد المجتمع المسلم، وتزوده بالقدرة على مشاركة أفراد مجتمعه فيما يحسون من أفراح وأحزان، وهذه القدرة من أهم العوامل التي تمكنه من ملاءمة نفسه مع البيئة الإجتماعية التي يعيش فيها، كما أن الإخاء يؤدي إلى إشباع الحاجة إلى الإنتماء إلى الجماعة، وهي إحدى مظاهر سلوك الإنسان في جميع مراحل حياته، وإن كانت تختلف في صورتها في كل مرحلة عن الأخرى، وإنها لفي مرحلة المراهقة أشد وأظهر وأوضح، وتنشأ هذه الحاجة عند الإنسان في مرحلة الطفولة.

إن القرآن الكريم يحرص على تربية العواطف الإنسانية الزاكية السامية، ويبدو هذا من خلال منهجه التربوي الذي يهدف إلى تنشئة المراهق وتكوينه على درجة عالية من الناحية الوجدانية والأخلاقية والعاطفية، لكي يصبح مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر في كل وقت

وحين، ويهدف إلى تطهير نفس الفرد من جميع الرذائل الوجدانية والأخلاقية والعاطفية لتقوي في نفسه دوافع العمل الصالح، ولا يتحقق ذلك بدون تربية وتنمية الإدراك الوجداني والعاطفي، ليتمكن من التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[1].

فالمراهق الواعي الملم بآداب دينه وأحكامه وتشريعاته يعلم أن منهجه مؤسس على المحبة الصادقة والأخوة القوية، ويقتضي هذا أن يسعى الأخوة في التقريب بين من باعدت بينهم المواقف النفسية الطارئة، إحياءً لعاطفة الأخوة في قوة وجدية، ولما كانت هذه العاطفة وغيرها من العواطف السامية تتأثر بالتباعد والتقاطع، فإن المنهج الإسلامي قد حرم أن يستمر الهجر والخصام بين المسلمين لأكثر من ثلاثة أيام، وهي مدة كافية لهدوء النفوس، والمراجعة والمحاسبة الذاتية، والعمل على تهيئة النفوس لدواعي التقارب والتآلف.

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا. وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2].

يصور الرسول ﷺ في هذا الحديث الشريف سلوكاً نفسياً تحركه النفس الأمارة بالسوء ويغذي الشيطان هذه الحركة ليبقى على

---

(١) سورة الحجرات آية: (١٠).

(٢) الإمام مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب ـ تحريم الهجر فوق ثلاث ليال لغير عذر شرعي.

التباعد والتباغض بين المسلمين، ولا استبعد أن يحدث كل من المتحابين ـ المتخاصمين ـ نفسه بالرغبة والشوق في عودة الأخوة الحانية، وحين يلتقيان تتصارع الرغبات ويود كل منهما أن يبدأ، أخاه بالسلام، فتبدو على وجوههما ومشاعرهما وحركاتهما مظاهر التردد بين الإقدام والإحجام، والرابح منهما من ذكر هدى رسول الله ﷺ فبدأ أخاه بالسلام.

«لقد أدرك النبي الكريم ﷺ بثاقب نظرته التربوية التي استقاها من تأديب الله إياه، أنه لا يستل سخائم الحقد من الصدور، ولا ينتزع أدران التنافس والحسد من النفوس، إلا أخوة صادقة عالية تسود حياة المسلمين، وتقوم على المحبة، والتواد، والتناصح، والألفة، والبشر، وينتفي منها الكيد والغل والحسد والتهجم والتباغض، ولذلك دعا إلى إفشاء السلام بين الأخوة، ليكون مفتاح القلوب للمحبة والتلاقي على الخير»[1].

روى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[2].

إن تربية عاطفة الأخوة تجعل المراهق المسلم مثله كعضو في فرد، يحس بحاجات إخوانه إحساسه بحاجاته، ويعمل على تقوية

---

(١) شخصية المسلم كما يعرفها الإسلام (ص ١٤٣) د/محمد علي الهاشمي دار البشائر الإسلامية.

(٢) صحيح الإمام مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب ـ تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

روابط المودة بينه وبينهم، يعطف على فقيرهم، ويزور مريضهم، ويواسي مصابهم، فسيادة روح الأخوة الصادقة في المجتمع المسلم تقضي على الخلافات بين الأفراد، أو تحصره في أضيق نطاق، فيؤدي ذلك إلى انعدام الشكوى، ويعيش الجميع إخوة متحابين متعاونين لا يعرف الحقد والتباغض طريقاً لهم، فينعمون بالأمن والإستقرار.

هذا المستوى من تربية عاطفة الإخاء يشعر المراهق المسلم معه بحلاوة الإيمان ويفوز بحب الله سبحانه ورضاه عنه وينعم بالجنة وهي الثمرة العظمى الباقية من ثمرات الدنيا والآخرة.

[٢] ـ عاطفة الأمانة:

التعريف بالأمانة: «الأمانة في جانبها النفسي: أن يعف الإنسان عما ليس له حق فيه، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة من الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة من الناس»[١].

وهذا التعريف غير جامع لأنه قصر الأمانة على الودائع والحقوق ـ مادية أو معنوية ـ حفظاً لها ومحافظة عليها.

إن الأمانة لا تعني حفظ الودائع لأصحابها والمحافظة على أعراض وأسرار الغير كما هو المتبادر من إطلاق هذه اللفظة عند كثير من الناس، بل الأمانة أوسع من ذلك وأشمل، حيث تستوعب جميع

---

(١) الأخلاق الإسلامية (جـ ١ ص ٦٤٥).

مظاهر الحياة الإنسانية. دينية ونفسية ومادية واجتماعية وخلقية ـ فالدين أمانة، والنفس أمانة والزوج أمانة والأسرة وحقوق أفراد المجتمع أمانة.

ويمكن أن تعرف الأمانة بأنها: خلق ثابت في النفس يدفع الفرد إلى المحافظة على أمانات الدين والنفس والأسرة وحقوق جميع أفراد المجتمع، بواسطة مراقبة ذاتية من داخل الفرد.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[1].

إنها أمانة التكاليف الشرعية، وفي مقدمتها حق الله على عباده أن يوحدوه وأن يعبدوه وحده مخلصين له الدين، ثم تأتي بعد ذلك حقوق النفس والفرد والجماعة المسلمة، وهي حقوق أوجب الله حفظها ورعايتها مع بداية مرحلة البلوغ والمراهقة، وقد وجب على كل مسلم حملها في طاعة وانقياد وانطلاق إلى آدائها برغبة وشوق دون إخلال بشيء من حقوقها الظاهرة والباطنة.

«لقد أشفقت ـ السموات والأرض والجبال ـ من أمانة التبعة. أمانة الإرادة، أمانة المعرفة الذاتية ـ أمانة المحاولة الخاصة ﴿**وحملها الإنسان**﴾ الإنسان الذي يعرف الله بإدراكه وشعوره، ويهتدى إلى ناموسه بتدبيره وبصره ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده، ويطيع الله بإرادته وحمله لنفسه، ومقاومة إنحرافه ونزعاته، ومجاهدة ميوله وشهواته»

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٧٢).

إن المراهق المسلم ـ والراشدين ذكوراً وإناثاً ـ يكون أميناً ما حافظ على فروض ربه واستقام على طاعته فأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت متى استطاع وحافظ على سائر فروض الدين ونوافله.

ويجب أن يُعوَّد المراهق على الحفاظ على أسرار الأسرة ووجوب السعي لتحقيق كفايتها والعمل على توفير حاجاتها ومطالبها، وأن يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر.

إن تربية عاطفة الأمانة تكسب المراهق القدرة على المحافظة على حقوق أفراد المجتمع المسلم والقيام عليها ورعايتها في مرحلة الرشد والرجولة خاصة، وذلك من خلال اعتياده على حفظ حقوق وأسرار أقرانه ونظرائه، إذ لا تخلو حياة المراهقين من أسرار شخصية وأعراض يجب صونها عن التعريض أو الإعتداء، فيعف المراهق نفسه عن النظر والتطلع إعجاباً أو رغبة فيما ليس له فيه حق، والشعور بالعفة يدفعه إلى رعاية الأمانات المادية التي يستأمن عليها من المراهقين أو الراشدين، فلا تتطلع نفسه إلى ما تحمله حتى يؤديه إلى صاحبه بالقدر والصفة التي تناوله، والأمانة بهذا تقوم على دعامات أساسية أجملها فيما يلي:

(١) - عدم الإعجاب بالأمانة أو الرغبة فيها.
(٢) - حفظ الأمانة ورعايتها.
(٣) - تأديتها بقدرها وصفتها عند التحمل.

إن المراهق ينظر إلى موقف مجتمع إزاء الأمانات العامة ذات التأثير على الحياة الإجتماعية، وأهمها العدل ومنه توسيد الأمر إلى أهله، والمراهق يهتم بهذه الظاهرة السلوكية الإجتماعية أكثر من

غيرها، فهو ينظر إلى مستقبله المرتقب من هذه النافذة، التي يطل من خلالها على جانب كبير الأهمية من عالمه النامي المتوثب، وما عسى أن يكون موقف مجتمعه منه عند رشده، أيقدر كفاءته ويستفيد بقدراته واستعداداته وأن ييسر له أسباب تلبية حاجاته ومطالبه، أم أنه سيقف موقفاً مضاداً يؤدي إلى قبر - أكثر - قدراته، وكثيراً ما يؤدي هذا إلى الشعور بالإحباط.

إن المجتمع الذي يوسد الأمر لغير أهله، والذي لا يحرص على وضع الفرد المناسب في المكان المناسب الذي يوافق ميوله ويفسح المجال أمام قدراته واستعداداته، فيبتكر ويستحدث ويطور الأدوات والآلات التي تعين على تقدم المجتمع وتحضره وتحقق له مستوى من الأمن والإستقرار، وكثيراً ما يؤدي هذا الشعور إلى تثبيط همة المراهق، كما يجعله يتصور بأن مستقبله محاط بسحابة من الغيوم، فإذا لم يصرح المراهق بهذه التصورات فقد تؤدي إلى إختلال إتزان شخصيته، ويؤدي ذلك بالضرورة إلى سوء تكيفه مع نفسه وبيئته الإجتماعية، فتراه مستهتراً مستهيناً بالآداب العامة والأخلاق الإجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية التربية الرشيدة التي تعمل على تبصير المراهق بحقيقة دوره في المجتمع المسلم.

روى الإمام الترمذي في سننه عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[1].

إن المراهق يبحث عن وجود حقيقي لذاته وسط أفراد

---

(١) سنن الترمذي (جـ ٤ ص ٣٦٤) ٦٣ باب ما جاء في الإحسان والعفو.

المجتمع، ويسعى جاهداً لإكتساب اعتراف المجتمع بنموه ونضجه، والحديث الشريف يقف به عند مفرق الطرق، ويكشف عن مسار واتجاه كل منها، ويرشد المراهق إلى مظاهر الإختيار الصحيح، ذلك أن الإسلام لا يقبل التقليد الأعمى الذي لا نظر فيه ولا إدراك، فانحراف بعض الأفراد في سلوكهم يوجب مفارقتهم والإنكار عليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإلا استشرى الفساد وعم، فلا يشعر أحد بأمن ولا إستقرار، حتى يوطنوا أنفسهم على الإحسان وتجنب إساءة المسيء.

ومن الأمانة أن يحرص المراهق على آداء واجباته الدراسية وغيرها مما يسنده إليه وأن يبذل جهده ويستنفذ طاقته كي يصل إلى درجة الإحسان فيه والإجادة له.

وأنها لأمانة يمجدها الإسلام ويحرض المسلمين عليها، فإن تقصير الفرد فيما كلف القيام به، يؤدي إلى شيوع التفريط في حياة أفراد المجتمع كله كما يكلف الأمة أعباء كثيرة، تقعدها عن مجاراة الأمم نحو التقدم والتحضر.

ومن الأمانة حفظ الإنسان لحواسه التي أنعم الله عليه بها وكذا المواهب الذي خصه الله بها، فيدرك أنها ودائع الله تعالى الغالية وأنه تعالى سائله عما وهبه واستحلفه فيه، لذا وجب على المراهق أن يستخدم حواسه ومواهبه في مرضات ربه، ويسارع في تقديم الخير لإخوانه، ولا يجره ما وهبه إلى الكبر، فإذا امتحن بنقص شيء منه فلا يتضجر كي لا يشقى بل يصبر حتى يكشف الله سبحانه عنه السوء الذي أصابه.

إن القرآن الكريم يربي في المسلمين جميعاً عاطفة رعاية

الأمانة، ويحذرهم من التفريط والخيانة بأي صورة من الصور.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

[٣] - عاطفة كراهية الغيبة:

الرغبة في الغيبة عاطفة سلبية، تدل على سوء الخلق وفساد التربية، وضعف الإيمان، وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه من الصفات الحاصلة له، وأو تنسبه إلى أقوال وأفعال غير محمودة.

ولا يقف حد الغيبة إلى الذكر باللسان، بل يتعداه إلى كل ما يؤدي إلى إيذاء الغير والتعريض به، وإن كان ذلك بطريق الإشارة أو الحركات المعبرة عن المقصود بيانه من الصفات التي يكره إسنادها إليه، ويدخل في ذلك الكتابة الدالة عن المقصور، وأيضاً التمثيل الحركي، كأن يمشي المراهق مقلداً من به عرج قدمه أو ساقه، أو به خلل في يده أو غير ذلك من العيوب الجسمية، أو أن يحرك لسانه مقلداً من به عيب من عيوب النطق، كالفأفأة والتأتأة وحبسة اللسان وغير ذلك من عيوب النطق، كما يدخل في الغيبة ذكر المراهق للشخص الغائب وإن بدا ـ من مضمون حديثه أو طريقة كلامه ـ أنه يستغرب حدوث ذلك منه، أو أنه يشفق عليه، فكل ذلك مستنكر مكروه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ

---

(١) سورة الأنفال آية: (٢٧، ٢٨).

﴿أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1].

تعرض الآية الكريمة الغيبة في صورة منفرة، تتقزز منها نفوس ذوي الطبائع المستقيمة حيث شبهت من يخوض في عرض أخيه في غيبته ويخلع عليه بعض صفاته التي لا تروق له، والتي يكره إعلانها والتحدث بها، وشبهته كمن يأكل لحم أخيه بعد موته وصيرورته إلى جيفة لا يصبر عليها أحد.

«الغيبة أذم الأفعال مقصداً وأخبث الأقوال معتقداً وأسوأ الأخلاق مذهباً وأصعب الأحوال مركباً، تدل على الحسد والبغي، وتدخل مدخل النميمة والسعي، وتنبىء عن غائلة وحقد وتكشف عن خبث طوية وقد قرنها الله تعالى بأكل الميتة»[2].

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[3].

بيّن رسول الله ﷺ أن ذكر الغائب بما يكره أو وصفه بما لا يحمد فإن كان فيه فهو الغيبة، وإن لم يكن فهو البهتان، وكل منهما خلق ذميم إثمه عظيم وعذابه أليم، وهو من الذنوب التي يعذب عليها الإنسان في قبره، وعذاب الآخرة أشد وأفظع.

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) سورة الحجرات آية: (١٢).

(٢) الخلق الكامل (جـ ٤ ص ٤٣٥).

(٣) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة ـ باب ـ تحريم الغيبة.

قال مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير: أما هذا فكان لا يستتر من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين، فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً، ثم قال لعله: يخفف عنهما ما لم ييبسا»[1].

ذكر الإمام البخاري الحديث في باب الغيبة ولم يرد فيه ذكرها وإنما ذكرت فيه النميمة، وأجيب عن ذلك بما يلي: «قال ابن التين: إنما ترجم بالغيبة وذكر النميمة لأن الجامع بينهما ذكر ما يكرهه المقول فيه بظهر الغيب. وقال الكرماني: الغيبة نوع من النميمة لأنه لو سمع المقول عنه لغمه. قلت: الغيبة قد توجد في بعض صور النميمة، وهو أن يذكر غيبته بما فيه ما يسؤوه قاصداً بذلك الإفساد...»[2].

إن المغتاب والذي يصغي إلى الغيبة بشغف يستويان في المعصية والإثم، ـ وهو ذلك الشخص الذي يستهويه استماعه إلى غيره وهو يقدح في أعراض إخوانه ـ ويحسب أن إثم الغيبة لا يلزمه لكون نشاطه منحصراً في الإستماع، أما الذي يسمع حديث الغيبة فينكر على الفاعل وينهاه فإن لم ينته إنصرف عنه فقد حمى نفسه من المشاركة في تحمل الإثم.

ـ دوافع الغيبة:

أ ـ دافع التشفي من الغير:

قد يكون الدافع الذي يكمن خلف الغيبة رغبة المراهق في

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب الأدب ـ باب ـ الغيبة.

(٢) فتح الباري (جـ ١٠ ص ٤٧٠).

التشفي ممن أغضبه ولا قدرة له على دفعه بما يندفع به، وأن تضعف إمكانياته النفسية عن الصبر والعفو، فيروح عن نفسه بذكر مساوئه وعيوبه، وكثيراً ما تكون العيوب مبالغاً فيها أو لا أساس لها في الواقع إلا في مخيلة قائلها ومبدئها وناشرها وهذا السلوك النفسي يتعرض له كثير من الراشدين والمراهقين بصفة خاصة، والمراهق في هذه الحالة يظن أن الغيبة تؤدي إلى تخفيف حدة انفعاله، وليس كذلك لما يترتب عليها من الشعور بالإثم، فإن ذكر العيوب والمثالب يدور بين الرذائل الثلاث (**الغيبة ـ النميمة ـ البهتان**) ولا ينتهي الموقف عند ذكر عيوب ومثالب من أغضبه، بل إنه يترك آثاراً معتمة في النفس دائمة التردد، وكثيراً ما تؤدي إلى الحقد الذي يستمر معه الغضب ولا يندفع بل ربما يتعمق بالنفس، كما أن تكرار هذا الموقف السلوكي ينشأ عنه ميل النفس الدائم إلى الغيبة، حتى تصير عاطفة وسجية مستقذرة [1].

ب ـ الرغبة في الإشتراك مع الجماعة:

قد يكون الدافع للغيبة رغبة المراهق ـ أو الراشد ـ في مشاركة جماعة الرفاق فيما يستحسنونه ويفضلونه، فإذا همَّ أحدهم بذكر مساوىء آخر أو آخرين تابعت جماعة الرفاق الإستماع والإنصات، وأبدى كل منهم مظاهر الرضا والقبول لما يقال ولا يمتنع عن المشاركة بل ينبري ليزيد من مساوىء ومثالب ذلك الشخص، ويظهر هذا الموقف السلوكي أكثر عند من يعاني من الشعور بالنقص والدونية.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين (جـ ٣ ص ١٢٧).

ج ـ الخوف من الوشاية:

قد يكون السبب الدافع إلى الغيبة خوف المراهق من المغتابين أن يوشوا به إذا لم يشاركهم إتجاههم، كأن يتصور أن عدم المشاركة ستهيج فيهم دافع الإنتقام منه، كما أنهم سيعملون على تقوية موقفهم عند الشخص الذي تعرضوا له بالغيبة، فيتهمون المراهق ـ الذي لم يشاركهم ـ بالغيبة، بغية الوشاية والفتنة حتى تهتز الثقة في شخصيته عند المغتاب لكي لا يثق به إن أخبره بشيء مما وقع من أقرانه أو غيرهم.

إن هذا الموقف السلوكي يشتمل على ظاهرتين سلبيتين، هما:

(١) ـ الخوض في أعراض الناس مع الخائفين.

(٢) ـ رمي بريء بإثم لم يقترفه.

إن القرآن الكريم لا يقر الظواهر السلبية ولا يعتبرها سبيلاً صحيحاً للخلاص، وتلك طبيعة المنهج القرآني في عدم إقرار جميع المواقف السلبية، وأنه ليوجب السلوك الإيجابي في مثل هذه الحالة حتى يتضح الحق ويظهر، أو أن يتوب المغتابون ويستغفرون الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ آحْتَمَلَ بَهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[1].

د ـ الرغبة في الإيقاع بالغير:

قد يكون الدافع إلى الغيبة رغبة بعض المراهقين في الإيقاع

---

(١) سورة النساء آية: (١١٢).

بالغير، فيغتاب شخصاً عنده قاصداً تهييج الغيبة في نفسه ولا يزال به حتى يوقعه في شرها.

هـ ـ الرغبة في التسلية:

قد يكون الدافع إلى الغيبة التسلية وتضييع الوقت ونشر روح السرور والفكاهة والضحك فيعرض بعض الصفات الموجودة أو غير الموجودة في شخص معروف لدى جماعة الرفاق، هذا الموقف السلوكي كثيراً ما يقع فيه المراهق بسبب عدم تنظيمه لأوقات فراغه، وإستغلالها في عمل نافع مفيد يساعد على تأمين مستقبله، وهنا تجدر الإشارة إلى الهدى النبوي الكريم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

التخلص من عاطفة الغيبة:

إن عاطفة الغيبة تنشأ بتكرار المواقف السلوكية التي يخوض فيها بعض الناس في أعراض غيرهم، حتى يصير هذا السلوك سجية أو طبعاً فتصدر عنهم الغيبة دون انتظار أو تفكير في مضارها الشرعية والإجتماعية والنفسية وهذه العاطفة يمكن التخلص منها بنقضها، والتحول عن الرغبة فيها إلى ضدها وهو الكراهية للغيبة، والبغض الشديد لها، وأن يمتنع عن سلوك الغيبة مطلقاً، فلا يغتاب ولا ينم ولا يخالط الذين لا يتنزهون عن الغيبة وأن يبتعد عن مجالسهم وأن

---

(١) انظر إحياء علوم الدين (جـ ٣ ص ١٢٩).

يلتزم بالقواعد الآتية:

(١) ـ أن يعلم أن الله قد فظع أمر الغيبة، وقبح شأن المغتاب، وأظهر صورته على هيئة تنفر منها الطباع السليمة.

(٢) ـ أن يشعر نفسه بأنه مبغوض عند الله سبحانه مبعد عن رحمته، مستحق لغضبه وسخطه.

(٣) ـ أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إذا مالت نفسه إلى الغيبة من جديد وأن يذكر الله سبحانه حتى يذهب عنه الذي يجده من ميل النفس الأمارة بالسوء.

(٤) ـ أن يشغل نفسه بما فيه من العيوب والنقائص، وأن يحاول التخلص منها لتزكو نفسه وتتطهر.

(٥) ـ أن يضع نفسه محل الشخص الذي اغتابه فكيف تكون حالته النفسية إذا علم بما قيل فيه، لينزجر عن الغيبة.

(٦) ـ أن يدرس الدافع الذي يكمن وراء الرغبة في الغيبة، ثم يعمد إلى تخليص نفسه منه بالوسائل الإيجابية.

(٧) ـ أن يحرص على تنزيه لسانه عن الغيبة وبذىء القول عساه ينجو يوم القيامة فلا يسحب على وجهه في جهنم بسبب حصائد لسانه.

إن العواطف السلبية لا يمكن التخلص منها إلا بنقضها (الإقلاع عنها) وإحلال عاطفة إيجابية مناقضة لها.

[٤] ـ تربية عاطفة كراهية البخل:

لا جدال في أن المال عصب الحياة وزينتها، وهذا لا يعني أنه خير في كل حال، بل هو دائر بين الخير والشر، ودورانه بينهما لا يرجع إلى المال ذاته، إنما يرجع إلى متعلقاته.

فالمال وسيلة الإنسان إلى تحقيق مقاصده وتلبية حاجاته وسد نفقاته، وهذا قصد حسن، مُلزم الإعتدال دون ميل إلى أحد الطرفين المذمومين، وهما البخل والتبذير.

والمال وسيلة المسلم إلى أعمال البر والخيرات، يبذله في سبيل الله راضي النفس، مطمئن القلب، منشرح الصدر، متحرراً من عبودية المال وسيطرته على سلوكه، ينفر من الشح والحرص الشديد، فإن من اعتاد الحرص شح وأمسك وبخل على نفسه، ومنع أولاده الإستطابة بنعم الله التي استخلفه فيها، ومن شح على نفسه وولده حرى به أن يبخل على الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل فيحرمهم حقهم الذي فرضه الله وحدده.

إن تكرار مواقف إمساك المال والإمتناع عن صرفه في مجالات الصرف الواجبة كإعالة الأبناء والوفاء بجميع حاجاتهم وإخراج الزكاة الواجبة ينشأ عنه عاطفة البخل، ذلك أن حد البخل منع الواجب أو إنقاصه عن حد الإعتدال.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٨٠).

تشتمل الآية الكريمة على مجموعة من الحقائق التي لا تتغير ولا تتبدل ما دامت السماوات والأرض، وعلى المراهق المسلم أن يعي هذه الحقائق وأن يضعها نصب عينيه وهو ينظر الحياة والأحياء بفكره المتفتح وعقله النامي الذي يتدرج في سلم النضوج، كي لا تنحرف نظرته إلى المال من خلال التجارب التي يمر بها، ومشاهداته للسلوك المنحرف إزاء قضية المال، وأجمل الحقائق فيما يلي:

(١) ـ أن المال كله لله.

(٢) ـ وأن الله تعالى يرزق عباده فضلاً منه ونعمة.

(٣) ـ أن البخل بصرف المال في الواجبات، ناشىء عن ظن كاذب، لا وجود له.

(٤) ـ أن البخل شر مستطير، فلايزيد به المال، كما يحرم منه صاحبه في الدنيا ويطوقه في الآخرة.

(٥) ـ أن لله تعالى ميراث السماوات والأرض ومن فيهن.

(٦) ـ أن علم الله سبحانه محيط بظاهر أعمالنا وبواطن نفوسنا.

فإذا ما عرف المراهق المسلم هذه الحقائق الأزلية واعتقدها وأيقن بها فإنها سترته الواقية التي تقيه من الزلل والإنحراف في نظرته إلى المال، فلا يطلبه من غير وجوهه المشروعة، ولا يمسكه عن وجوهه المشروعة والمسنونة ـ فيخرج الزكاة الواجبة والصدقة النافلة ـ ولا يصرف درهماً منه في شهوة أو لهو حرمه الله.

إن البخيل الذي يظن أن بخله يزيد في ماله وينميه فقد وهم، فالنماء والزيادة والبركة وطهارة المال تدور مع الزكاة والصدقة وجوداً وعدماً، فالبخل لا يحفظ الأموال إنما يحرم صاحبه المتعة الحلال.

إن مرحلة المراهقة ذات حساسية خاصة تستوجب على المربي المسلم أن يحدد معنى التوسط والإعتدال، وهو القاعدة الأساسية في التشريع الإسلامي، فالإسراف والتقتير يخلان بمستوى التوازن الذي يعتمد عليه المنهج الإسلامي في جميع مجالات الحياة.

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾[1].

البخل والإسراف مرذولان، أما البخل فقد بينت بعض جوانبه المعتمة، وشروره المتعددة، وأما الإسراف فلا يقل عنه عتمة ولا شراً، فالمسرفون إخوان الشياطين، جرت العادة أن يكون دافع الإسراف سوء نية وخبث طوية أو بلاهة وعدم مبالاة، فما أكثر ما يصرفه هؤلاء في مجالات الصرف المحرمة شرعاً، المستنكرة عقلاً وعرفاً، ومن شاء فليسأل عن الأموال التي تصرف في دور الملاهي والمسارح والنوادي وحانات الرقص والخمور، ولا يفيق أحدهم من غفلته وغيبة عقله حتى تفرغ يداه عند ذلك يقعد (ملوماً محسوراً).

«والتوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن، والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير، فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً، فيرسم نهاية البخل والإسراف بأنها قعدة كقعدة الملوم المحسور، والحسير في اللغة الدابة تعجز عن المسير فتقف ضعفاً وعجزاً، فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف وكذلك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير، ملوماً في الحالتين على

---

(١) سورة الإسراء آية: (٢٩، ٣٠).

البخل والسرف، وخير الأمور الوسط».

إن الإسلام يوجب على المسلمين أن يتحروا الحلال في سعيهم وعملهم، حيث قد حرم الله سبحانه على المسلمين الربا والسرقة والنهب والسلب والغلول والرشوة والإحتكار رغبة في ارتفاع الأسعار، كما حرم عليهم أن يعملوا في مجالات العمل المحرمة شرعاً، كتجارة الخمور أو حملها أو بيعها أو الترويج لها، أو تربية الحيوانات المحرم أكلها، كالخنزير، فلا يجوز لمسلم أن يعمل في أي مجال منها، وعليه أن يبتغي الرزق الحلال، فيما أحله الله وأباحه من الأعمال.

ثم يأتي بعد ذلك صرف المال بعد كسبه من طريق حلال لا شبهة فيه، أن يجعل المسلم لنفسه نظاماً معتدلاً، فلا يبخل فيمسك عن الضروريات، ولا يطلق يده فلا يبقى شيئاً مما يزيد عن حد الإعتدال، ولا يغلق على نفسه باب البر والرحمة فيمنع الفقير واليتيم والمسكين، أو يشح على ذوي رحمه، ولقد حذر رسول الله ﷺ من البخل لما ينشأ عنه من آثار مدمرة.

روى الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٢].

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة ـ باب ـ تحريم الظلم.

إبدال العواطف
في ضوء القرآن الكريم

إن العاطفة تنشأ عن تكوّن مجموعة من الإنفعالات ـ المتضامنة ـ التي تتجه نحو موضوع معين، فبتكرار المواقف الشعورية والخبرات السارة أو الضارة تتكون العاطفة ويتحدد نوعها. (بمعنى أن تكون عاطفة حب أو كراهية) والعاطفة تساعد على التنبوء بسلوك الفرد إزاء المواقف الإنفعالية المثيرة للعاطفة أو المتعارضة معها.

«هذا ما اتفقت عليه وجهات نظر علماء النفس المعاصرين في تكون العاطفة وأهميتها في تفسير السلوك»[1]

ولم أجد فيما أطلعت عليه من المراجع المتخصصة أن واحداً من علماء النفس قد أشار ـ في دراساته ولو ضمناً ـ أن العاطفة بعد تكونها يمكن نقضها وإبدالها بضدها، أي أن تحول عاطفة الحب إلى عاطفة

---

(١) انظر علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية (ص ١٤١ : ١٦٢) وانظر مبادىء علم النفس (ص ١٦٥ : ١٧٥) وانظر قراءات في علم النفس (ص ١٩٠ : ١٩٩) وانظر لمحات في التربية الإسلامية (ص ٥٩ : ٦٤) وانظر النمو النفسي للطفل والمراهق (ص ٤٧).

كراهيـة، أو تحول عاطفة الكراهية إلى حب.

أما القرآن الكريم فقد بين إمكـانية إبـدال العواطف المتضـادة بـإحلال بعضهـا مكان بعض ـ العـواطف الإيجابيـة مكـان السلبيـة ـ وذلـك بعد تهيئـة النفوس بـالدعـوة الهادئـة والوعـد الصـادق والأمـل المضيء الـرحيب، وذلك في مثـل قـول الله تعـالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

إن النفس البشرية بطبيعة تربيتها الإجتماعية لا تنزع إلى القتال نـزوعهـا إلى مجـالات الحيـاة المـألـوفـة التي تحقق لهـا المتعـة والإحساس بالراحة والرضا وتـذوق الجمال، ولا شـك في أن النزوع إلى القتال يسبق بصـراع بين الدوافع النفسية المتعارضـة ذلك أن من الـدوافع مـا يحض على الإقدام ومنهـا ما يـدعو إلى الإحجـام وإيثار القعود على الخروج، فالقتال أمر لا تألفه النفوس لما يحدث فيـه من قتل وجرح وأسر، وما يتلوه من خـراب ودمار وتشـريد وغيـر ذلك من تبعات الحروب ونتائجها، ولهـذا تشفق النفس عن الخروج للقتـال، فلا أحد يدري أقاتل هو أم مقتول، أمنتصر أو منهزم، هذا إشارة إلى بعض الـدوافع النفسيـة التي ثـارت في المجتمعـات الجـاهليـة قبـل الإسـلام، وتثـور كـذلـك في المجتمعـات الجـاهليـة في العصـر الحديث.

«والإسـلام يحسب حسـاب الفـطرة، فـلا ينكـر مشقـة هـذه الفـريضـة، ولا يهـون من أمـرهـا، ولا ينكـر على النفس البشـريـة إحسـاسها الفـطري بكـراهيتهـا، فـالإسـلام لا يمـاري الفـطرة، ولا

---

(١) سورة البقرة آية: (٢١٦).

يصادمها، ولا يحرم عليها مشاعرها التي ليس لإنكارها من سبيل، ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر، ويسلط عليه نوراً جديداً، إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق، ولكن وراءه حكمة تهون مشقته، وتسيغ مرارته، وتحقق به خيراً مخبؤاً لا يراه النظر الإنساني القصير، عندئذٍ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر، ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراها منه، . . . من يدري فلعل وراء المكروه خيراً، ووراء المحبوب شراً، إن الله العليم بالغايات البعيدة، المطلع على العواقب المستورة، هو الذي يعلم وحده، حيث لا يعمل الناس شيئاً من الحقيقة».

من النص السابق يظهر لنا أن الأستاذ الشهيد سيد قطب يعتبر أن عاطفة كراهية القتال ذات أصل فطري، وليست كذلك فيما أعتقد، فهي عاطفة مكتسبة تتكون لدى الفرد من خلال احتكاكه ببيئته الإجتماعية والتصورات والمبادىء التي تحكمها، بالإضافة إلى خبرة الفرد الشخصية، وإذا اعتبرت من العواطف ذات الأصل الفطري، فإني أعتقد أنها من قبيل الإنحراف بالعواطف، بدليل حرص القرآن الكريم في منهجه التربوي ـ للمؤمنين ـ على إبدالها وإحلال عاطفة حب القتال جهاداً في سبيل الله تعالى ونصرة دينه وتبليغ دعوته إلى الإنسانية جمعاء، وتحطيم قوى الطواغيت، الذين يصدون عن سبيل الله وتوحيده وعبادته، وعليه تكون عاطفة حب الجهاد في سبيل الله ذات أصل فطري، وأن انحراف المجتمعات البشرية عن عقيدة التوحيد نتج عنه الإنحراف بهذه العاطفة، كغيرها من الإنحرافات السلوكية والعاطفية التي تسود المجتمعات الكافرة في كل عصر من العصور.

إن الفرد في المجتمعات الكافرة تنفر نفسه من القتال وتتكون

لديه عاطفة كراهية القتال، فلا ينزع إليه إلا كارهاً مضطراً مرغماً لا إرادة له في نزوعه، وما هي إلا استجابة موافقة للضغوط التي يمارسها الطواغيت على الجمهرة التي تستذلها ـ وتستعبدها، ولا أدل على ذلك من السلاسل التي قيد بها آلاف من جنود الفرس الروم في معركتي نهاوند واليرموك، عندما تأكد لهم قرب لقاء جيش المؤمنين الذين يحبون القتال جهاداً في سبيل الله حباً أعظم من حب أعدائهم للحياة، وحين التقى الجمعان، لم ينفع الكافرين سلاسل أو قيود[1].

أن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير بفطرة النفس البشرية التي فطرها عليها، وهو العليم باتجاهاتها ودوافعها وانفعالاتها المصاحبة لها، وقد جاء تشريعه الحكيم ملبياً لدوافع الفطرة، ومراعياً لطبيعتها وإمكانياتها، فلم يفرض عليها شيئاً يشق أو لا يتناسب مع قدرتها، كما لم يكتب عليها ما يضاد فطرتها، وهذه قاعدة أساسية في أصول التشريع الإسلامي.

إن القتال الذي تمارسه المجتمعات الكافرة يهدف إلى أطماع مادية بحتة، أو رغبات شخصية قاصرة عن المعاني الإنسانية، حيث يهدف الكافرون إلى إبراز زعامات فردية أو جماعية كاذبة، أو رغبة في الإستيلاء على موطن أوسع وأرحب أو سيطرة على مجموعة من البشر أو دولة، أو رغبة في فتح أسواق لمنتجاتها لدى دولة أو أمة، أو بسطاً للسلطان والنفوذ والإستبعاد، والرغبة الجامحة في نشر الفساد وغير ذلك من الأطماع المادية التي تثار بسببها الحروب والمنازعات

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي (جـ ١ ص ٥٨٦) د/ أحمد شلبي الطبعة ١١ سنة ١٩٨٤ وانظر فتوح البلدان (ص ٢٠١) البلاذري.

ودائماً يؤول مصير هذه الزعامات إلى الضياع والإضمحلال، والسلطات والنفوذ إلى الإنهيار، ولا يبقى لهم إلا الخزى في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

إن القتال جهاد في سبيل الله لا يرمي إلى أهداف مادية قاصرة، إنما يهدف إلى توحيد الله وعبادته والإعتصام بدينه وتحكيم شريعته في جميع شؤون الحياة، إقراراً للحق ونشراً للعدل بين جميع البشر، هذه هي الأهداف الكبرى للجهاد في سبيل الله، وأما ما وافق ذلك من فتح وسلطان أو غنائم، فإنها غير مقصودة لذاتها فما هي إلا ناشىء طبيعي لظروف القتال.

لقد حدد الرسول ﷺ الهدف الأساسي للجهاد في سبيل الله.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

إن الأهداف أو الدوافع الثلاثة الأولى وما كان في معناها خارجة عن موضوع الجهاد الإسلامي، ولهذا حصر رسول الله ﷺ أهداف الجهاد في جعل كلمة الذين كفروا السفلى، وأن تكون كلمة الله سبحانه هي العليا، فمن قاتل بهذا الدافع استحق الخلود في جنات النعيم يرفل فيها حيث شاء، ولعظيم ما يجده الشهيد منذ اللحظة الأولى للقاء ربه أنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا فيقتل في سبيل

---

(١) صحيح الإمام البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب ـ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

الله مرة بعد أخرى.

روى الإمام البخاري بسنده عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»[1].

(١) صحيح الإمام البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب ـ تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا.

obeikandl.com

العاطفة عند علماء النفس

أ ـ تعريف العاطفة:

(١) ـ **العاطفة**: «تنظيم مركب من عدة إنفعالات ركزت حول موضوع معين وصحبت بنوع من الخبرات السارة أو المؤلمة»[١].

(٢) ـ **العاطفة**: «استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الإنفعالات حول موضوع معين، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية كان مثيراً لعدة ميول مختلفة»[٢].

(٣) ـ **العاطفة**: «استعداد وجداني للشعور بتجربة وجدانية خاصة للقيام بسلوك معين ازاء شيء أو شخص معين أو جماعة أو فكرة مجردة»[٣].

(٤) ـ **العاطفة**: «استعداد مكتسب ناتج عن تنظيم النواحي الإنفعالية والنزوعية نحو موضوع معين»[٤].

---

(١) المدخل إلى علم النفس (ص ٢٤١) د/ عبد الحي موسى.
(٢) علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية (ص ١٤١) د/ مصطفى فهمي.
(٣) مبادىء علم النفس العام (ص ١٦٦) د/ يوسف مراد.
(٤) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية (ص ٧١) د/ عبد العزيز القوصي.

(٥) - **العاطفة**: «تنظيم مركب من عدة انفعالات ركزت حول موضوع معين وصوحبت بنوع معين من الخبرات السارة أو غير السارة»[١].

بالنظر في التعاريف السابقة يتضح أنه لا ثمة خلاف بينها، وأنها تلتقي عند المظاهر الأساسية للعاطفة، وهي كالتالي:

(١) - أن العاطفة تثار بمجموعة من الإنفعالات.
(٢) - أن هذه الإنفعالات موجهة نحو موضوع واحد.
(٣) - أن تتكرر إثارة هذه الإنفعالات تجاه الموضوع ذاته.
(٤) - أنها مكتسبة لأنها تنشأ عن تفاعل الفرد مع البيئة الإجتماعية.

غير أن بعض التعاريف قد أجملت في الدلالة على موضوع العواطف، بينما عنيت التعاريف الأخرى بالبيان والتفصيل، كما هو الحال في التعريف الثالث، حيث يتبين منه أن موضوع العواطف يكون مادياً ومعنوياً كما يكون فردياً وجماعياً.

ب - أهمية العواطف:

«للعواطف أثر بليغ في توجيه التفكير والسلوك، ويتجلى هذا التأثير في عمليات الإدراك والتذكر وتداعي المعاني، وفي تكوين معتقداتنا وتعديلها، فهي تؤثر في سير أفكارنا سواء أكانت تلقائية شاردة كما في أحلام اليقظة، أو موجهة مفيدة كما في التأمل والتفكير، ويكون تأثير العوامل الوجدانية واضحاً فعالاً في عملية

---

(١) مبادىء علم النفس (ص ٨٩) د/ مختار حمزة.

استرجاع بعض الذكريات دون غيرها. وفي توجيه نشاط الذاكرة، ويكون التأثير الوجداني السائد بمثابة المركز الذي يجذب إليه الإحساسات والعواطف المجانسة له وهذا ما يعرف بتبلور العواطف»[1].

ويقول الدكتور مصطفى فهمي عن أهمية العواطف وتأثيرها في السلوك الإنفعالي: «إن العواطف تعمل دائماً على تنظيم الإنفعالات لدى الفرد، فلو ترك إنسان دون تنظيم لإنفعالاته أصبحت حياته مضطربة لا نظام فيها ولا انسجام وبغير ذلك لا يمكن أن يتميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، التي نستطيع أن نقول بصفة عامة، بأنها مجردة من العواطف...»[2].

يرى علماء النفس أن العاطفة ذات أهيمة كبرى في السلوك الفردي والجماعي، ولا ينحصر تأثيرها في العلاقات الإجتماعية بين الأفراد في البيئة الإجتماعية الواحدة أو البيئات المختلفة بل أن العواطف ذات تأثير في العمليات العقلية جميعها، وأنها تلعب دوراً هاماً في تكوين المعتقدات، كما أنها تعمل على تنظيم السلوك الإنفعالي لدى الأفراد، ذلك أن العاطفة اتجاه سلوكي ثابت يتميز بالدوام والإستمرار، على الرغم من اشتمالها على جملة من الإنفعالات التي تثار حول الموضوع الواحد، فعاطفة حب الأم أو الأب مثلاً، تكون ساذجة بسيطة في بداية نشأتها، فهي بالنسبة للطفل مصدر الغذاء والشراب، وحين يدرك الطفل معنى الخوف والأمن، يبدأ تكوّن عاطفة حب الأب والأم، حيث أنه يشعر بالأمن

---

(١) مبادىء علم النفس العام (ص ١٧٢).

(٢) علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية (ص ١٥٨).

والرضا بقربها منه وحرصها على راحته وسعادته، ومع تطور نمو الطفل تزداد العاطفة تركيباً حيث يدرك الطفل في صباه أن أمه تحقق له كثيراً من المطالب العضوية والنفسية، ويصاحب هذا الشعور انفعالات مناسبة لكل جانب من الإشباعات التي تقوم بها الأم، فتزداد بها عاطفة الحب قوة وثباتاً، ولهذا فإن عاطفة حب الأم لا تتأثر بثورة الأم على ولدها أو غضبها منه عندما يخطىء أو لا يطيع أمرها. بل إن ثورة الأم تخيف الطفل على مستقبل العاطفة فينطلق باكياً ليستعيد عطف أمه وحنوها عليه من جديد[1].

ج ـ أنواع العاطفة

قسمها الدكتور مصطفى فهمي إلى ثلاثة أقسام، كما يلي:

(١) ـ عواطف تدور حول موضوعات مادية، مثل عاطفة حب الأم لابنها، والأب لأولاده والقارىء لكتاب معين، والموسيقيُّ لآلة خاصة... الخ.

(٢) ـ عواطف تدور حول موضوعات جمعية، كعاطفة المرء نحو عائلته، أو حزبه، أو مدرسة تربى فيها... الخ.

(٣) ـ عواطف تدور حول موضوعات مجردة، كعاطفة الميل إلى المثل العليا الأخلاقية (الأمانة ـ الصدق ـ الكرم... الخ أو عاطفة التقوى)[2].

غير أن الدكتور فهمي عاد فضم القسم الثاني إلى الأول، وبذلك يصبح التقسيم ثنائي، على أن يوضع في الاعتبار أن

---

(١) انظر المصدر السابق (ص ١٤٧). (٢) المصدر السابق (ص ١٤٦).

العواطف المادية منها ما هو فردي وجماعي.

وقد قسمها الدكتور عبد الله عبد الحي موسى إلى قسمين رئيسين. فقال:

«**أولاً: العواطف المادية**: وهي التي تتمركز فيها المحسوسات كالأشخاص والأشياء وتنقسم هذه العواطف إلى قسمين:

(١) - عواطف مادية فردية وهي التي تتعلق بشخص من الأشخاص أو بشيء من الأشياء، مثل حب الأم لطفلها أو الطفل لأمه، أو مثل حب العاشق لمنزل حبيبته أو الموسيقيّ لآلة خاصة.

(٢) -عواطف مادية جمعية وهي التي تدور موضوعاتها حول موضوعات جمعية مثل حب الشخص لأسرته أو كراهية البخلاء، وقد يحب الشخص القطط بوجه عام.

ثانياً: العواطف المعنوية: وهي التي تدور حول أفكار مجردة (مثل عليا) ومعنى آخر هي التي تتخذ من المثل العليا موضوعاً لها كحب العدل والخير والجمال وكراهية الظلم والرذيلة وهذا النوع من العواطف لا ينشأ إلا بفضل التربية السليمة الموجهة نحو اتجاهات سامية»[1].

وهذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم الأول في شيء، كما أنهما لا يختلفان عن التقسيم في المفهوم الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) المدخل إلى علم النفس (ص ٢٤٤) وانظر علم النفس أصوله وتطبيقاته (ص ١٥١) وانظر لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها (ص ٦١).

العاطفة السائدة:

«قد يغلب على سلوك الإنسان عاطفة واحدة توجه سلوكه إلى ناحية معينة وتكون لها الزعامة والسيطرة على غيرها من العواطف، تسمى (العاطفة السائدة)... فإذا كانت العاطفة لدى شخص هي حب المال، فإن هذه العاطفة توجه ميوله وعواطفه الفطرية إلى ناحية خاصة وهي جمع المال، فنجده يصادق من يساعدونه على ذلك ويكره من عداهم، ويحب أولاده إذا شاركوه اتجاهه ويكرههم إذا ساروا في طريق مخالف له وقد تكون محبة الأم هي العاطفة السائدة فنجدها تحمل صاحبها على أن يضحي بمصالحه في سبيل مصلحة والدته، ويسعى جاهداً في جلب القوت وتوفير جميع مطالبها وأسباب الراحة لها.

وإذا عرفنا العاطفة السائدة عند شخص ما نستطيع التنبؤ بسلوكه في مواقف كثيرة وذلك لأننا نعرف الإتجاه الموحد الذي تتخذه عواطفه وغرائزه.

إن التربية الإسلامية تسعى جاهدة لتحقيق سيادة العواطف السامية، التي تأتي في مقدمتها عاطفة محبة الله ورسوله ﷺ وعاطفة الحب في الله وعاطفة الأخوة وحب الأب والأم ـ والأخوة وذوي القربى إلى غير ذلك من العواطف الإنسانية كالعدل والرحمة والإيثار والتنافس في بذل الخير ودفع الضر.

إن تأسيس هذه العواطف في نفوس أفراد المجتمع المسلم يقطع الطريق على ظهور العواطف المادية المتردية التي تحيل الحياة الإنسانية إلى سلسلة من الصراعات التي لا تنتهي، ينشأ عنها تفكك عرى الروابط الأسرية والإجتماعية، وقد أطلت هذه الظاهرة برأسها،

في أنحاء كثيرة من المجتمع المسلم، وأنها لتنذر بشيوع الفتنة ـ فتنة التباغض والتحاسد والتدابر ـ فلقد كثرت قضايا الرشوة والسرقة وغير ذلك من طرق الكسب غير المشروع، كما كثرت الخلافات بين أبناء الرجل الواحد بعد موته بسبب الإرث.

إن الإسلام لا يُبغِّض المسلم في المال، إنما ينظم له طرق كسبه ومجالات صرفه ليحول دون استعباد المال للفرد المسلم، لما يعقب ذلك من الإنحرافات السلوكية أثناء جمع المال وصرفه أو إمساكه وحرمان المجتمع من فوائد تداوله وبذله في وجوه البر.

قال الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ بَل لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا * وَتُحِبُّونَ المَالَ حُباً جَماً * كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكاً دَكاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً * وَجِآىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ *** ﴾[1].

«ليس الأمر كما يقول الإنسان الخاوي من الإيمان فليس بسط الرزق دليلاً على الكرامة عند الله، وليس تضييق الرزق دليلاً على المهانة والإهمال، إنما الأمر أنكم لا تنهضون بحق العطاء، ولا توفون بحق المال، فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير الذي فقد حاميه وكافله حين فقد أباه، ولا تحاضون فيما بينكم على إطعام المسكين، وقد اعتبر عدم التحاض والتواصي على إطعام المسكين قبيحاً مستنكراً... إنكم لا تدركون معنى الإبتلاء، فلا تحاولون

(١) سورة الفجر آية: (١٥، ٢٥).

النجاح فيه، بإكرام اليتيم والتواصي على إطعام المسكين».

إن التربية الإسلامية تحرص على تربية عاطفة محبة الأم حماية لها وحرصاً عليها من الحاجة والسؤال، والسهر على راحتها والعمل بما يجلب مسرتها وسعادتها، كما أوجب الإسلام حسن صحبتها والرقة في الحديث معها، وحرم على الابن أن ينظر في وجه أمه أو أبيه بنظرة فيها غضب أو عدم مبالاة، وعلى الرغم من كل ما وجب للأم والأب من حقوق الطاعة والمحبة، فإن الإسلام لا يقبل أن تسود عاطفة محبة الأم والأب على سائر عواطف الإنسان المسلم أو أن تسخر جميع العواطف لها، لما في ذلك من الإنحراف بالعواطف السامية التي عنى الإسلام بتربيتها وعمل على نمائها واستقرارها.

إن عاطفة محبة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ أحق بالسيادة والعلو لكل العواطف الإنسانية، فهي صمام الأمان الذي يحول دون انحراف العواطف ـ مادية ومعنوية ـ فردية وجماعية ـ كي لا يشعر الفرد المسلم مراهقاً وشاباً ورجلاً، وليسعد المجتمع.

قال الله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾[1].

إن عاطفة حب الله تعالى ورسوله ﷺ والإيمان باليوم الآخر

---

(١) سورة المجادلة آية: (٢٢).

حين يمتلىء بها قلب المؤمن تمتلك مشاعره وإحساسه ووجدانه، فلا يكاد أن يكون بالقلب ذرة تقبل موادة من حاد الله ولو كان إبناً أو أباً، ذلك أن عواطف القرابة وروابطها تصبح فاقدة الوزن والقيمة إذا ما تعارضت مع روابط الإيمان، فقلب المؤمن يستحيل عليه أن يجمع بين حب الله تعالى والحب أو المودة لأعدائه، وفرق بين الحب والمودة وبين الطاعة والصحبة بالمعروف التي أمر الله بها الأبناء تجاه الوالدين وإن كانوا مشركين، حيث أن المحبة ليست لازمة للطاعة كلزومها للمحبة، فإن أعلن الوالدان أو أحدهما الخصومة لله ولدينه فلا محبة ولا طاعة أيضاً.

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وفي الآية إشارة إلى أن عاطفة محبة الأب لابنائه فطرية وليست مكتسبة وعلى الرغم من كون هذه العاطفة فطرية فإنه لا يعتد بها إذا ما تعارضت مع منطلق الإيمان بالله واليوم الآخر، ولهذا أجيب نوح عليه السلام بأن هذا العمل غير صالح.

---

(١) سورة هود آية: (٤٥، ٤٦).

تكوين العواطف عند علماء النفس

يلعب الإنفعال دوراً مهماً في تكوين العاطفة، حيث إنها تتكون من عدة انفعالات متتابعة تتركز حول موضوع معين ـ مادي أو معنوي ـ ويحدد طبيعتها نوع الخبرات المصاحبة لها، فإن كانت تبعث الشعور بالسرور والرضا والإطمئنان فإنها تؤدي إلى تكوين عاطفة المحبة، وإن كانت تؤلم وتحزن أو تخيف أدت إلى تكوين عاطفة الكراهية.

إن تكوين العاطفة يستغرق وقتاً وجهداً من الفرد إذ لا يكفي في تكوينها مجرد ظهور الإنفعال المصاحب لها، بل أن تكوينها ليحتاج إلى توفر بعض العوامل التي تؤدي إلى تنظيم الإنفعال كالتكرار والإيحاء والتقليد والإقتران.

[١] ـ التكرار:

«إن عمليات تكرار الإنفعال حول موضوع معين يؤدي إلى تقوية العاطفة نحو هذا الموضوع وتثبيتها، ذلك أن حدوث الإنفعال مرة واحدة لا يؤدي إلى نشوء عاطفة نحو موضوع الإنفعال، فالعاطفة عملية وجدانية مركبة من عدة انفعالات متمركزة تجاه شيء معين وقد تميزت بتكرار حدوث الإثارة نحو موضوع العاطفة.

«لا يكفي لتحول الإنفعال إلى عاطفة، أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بد لذلك من أن تتكرر مرات حدوثه حول الموضوع، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الإنفعال به، وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة»[1].

إن محبة الله سبحانه وتعالى تنشأ بالتدريج من عدة مظاهر انفعالية، كالرجاء والعجب والخوف.

فالرجاء في حد ذاته مركب من عدة انفعالات، كرجاء سعة الرزق، وبالصحة والأمن، والثبات على الإيمان، واتصال النسب وغير ذلك من رجاء حصول النعمة في الدنيا والآخرة، وموضوعات الرجاء هذه مردها إلى الله سبحانه وتعالى وحده، فالرجاء يسمو بالمحبة إلى مقام الشكر على النعمة، ونعم الله على عباده، دائمة غير متقطعة في حل أو ترحال، فكل إنسان يرفل بالليل والنهار في أثواب نعمة الله تعالى، وهذا مستوجب للشكر بعد ذوق واستطابة كل نعمة.

وانفعال العجب بما يراه من بديع صنع الله وخلقه للسماوات والأرض ومن فيهن مما يرى وما لا يرى، وكل ذلك يثير انفعالات التعجب والتأمل والتفكير في آيات الله.

قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[2].

والخوف مركب من انفعالات متعددة، الخوف من العذاب

---

(١) علم النفس أصوله وتطبيقاته (ص ١٤٤).

(٢) سورة هود آية: (٧٣).

الـذي أعـده الله تعـالى لمن عصـاه ولم يسلك سبيـل المؤمنين، والخـوف من المـرض، والخـوف من الفتنـة والخـوف من تـربص الأعداء، فلا ينصر غير الله العزيز الحكيم.

قـال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنْ تَنْصُـرُوا اللَّهَ يَنْصُـرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

هـذه مجموعـة من الإنفعالات تتمـركز حـول موضـوع واحد، وتتميـز بتكرار حـدوثها في وقت وحين، يشعـر بها المـراهق المسلم والشـاب ـ وجميع أفـراد المجتمع المسلم ـ مـا دام في الصـدر نفس يتردد ـ شهيق وزفير ـ عين الله سبحانه تكلؤه وترعاه فـإنه لا يـطعم إلا من رزقه ولا يستر إلا بستره ولا يأوى إلا إلى كنفه.

[٢] ـ الإيحاء والتقليد:

«إن المـراهق يكتسب الكثير من أنمـاط سلوكه وعـواطفـه من طـريقي الإيحـاء والتقليـد، وأن أثـرهمـا ليكـون أظهـر في مـرحلتي الطفولة والصبا أكثر منها في أي مـرحلة تاليـة، كما أن تـأثيرهمـا في سلوك الإنسان يستمر مدى الحياة.

«وكثيـراً ما يـظهـر أثـر هـذين العـاملين في تكـوين العـواطف الإجتماعية كالتدين والوطنية، فإن أمثال تلك العواطف إنما تنشـأ في أحضـان المجتمعات، حينمـا يشب الفرد فيجـد قومـه وقد سيـطرت عليهم عاطفة دينية خاصـة، فينساق في تيـارهم، ويدين بمـا يدينـون بـه، ويقلدهم في كـل مـظهـر من مـظاهـره، ثم لا يلبث أن يؤدي

---

(١) سورة محمد ﷺ آية: (٧، ٨).

إيحاؤهم له، وتقليده لهم، إلى أن يصدر عنه ذلك تحت تأثير عاطفة خاصة، لا تقل صدقاً ولا رقة عن عواطفهم»[1].

ويأتي دور الإيحاء مثلاً في الدعوة الصادقة من الآباء والأمهات لأبنائهم تبصيراً لهم بشؤون دينهم، وتربية مستقيمة لهم على طاعة الله ورسوله، ويعتبر الإيحاء مؤثراً سلوكياً مهماً في مرحلة التمييز وما يعقبها من مراحل، وهو وسيلة تعليمية وإعلامية أساسية في هذه المرحلة، وهذا لا يقلل من أهميته وضرورته في مرحلة المراهقة، بل يجعله أساساً في بناء العواطف الثابتة في هذه المرحلة الهامة التي تفتقر إلى الهدوء والثبات.

ويشير الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء في تكوين عامة العواطف منذ مرحلة الصبا.

«إن الصبي الذي يخلى طبعه إذا أردنا أن نحبب إليه غائباً أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة، فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه، ولم يقدر أن لا يحبه، فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنة الله إلا بالإطناب في وصف المقابح التي لا تدرك بالحواس ؟ بل لما وصف الناس حاتماً بالسخاء ووصفوا خالداً رضي الله عنه بالشجاعة أحبتهم القلوب ضرورياً، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم، وإذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض الأقطار من شيوع العدل والإحسان وإفاضته الخير، غلب

---

(١) علم النفس وأصوله وتطبيقاته (ص ١٤٥).

حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه على المحبين لبعد المزار ونأي الديار»[1].

بهذا يتضح تأثير الدعوة في قلوب المدعوين لتكوين عامة العواطف الدينية والإجتماعية وغيرها من العواطف الإنسانية، ومقاومة العواطف المادية المنحرفة وإحلال عواطف إنسانية راقية مكانها، والأمل في هذا التغيير محقق بإذن الله تعالى عن الإلتزام الدائم بالسلوك الإسلامي المستقيم، مع القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من عوائد السلوك العاطفي المنحرف وآثاره المدمرة للنفس والمجتمع.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوْا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[2].

إن الأمر بالمعروف والدعوة إلى العبادة والإنابة يرجى منها هداية الضال المنحرف، كما يستمد منها المؤمن قوة لإيمانه وثباتاً لعزمه في مضادة المنكر ومعاداته، والآية السابقة قد نزلت في جماعة من بني إسرائيل قاموا بواجب الدعوة إلى الله لمن اعتدوا منهم في السبت وتجرؤا على مخالفة أمر الله تعالى، فاستحقوا لعنة الله وعذابه وأخذه الشديد، فانبرى جماعة من المهتدين لدعوتهم إلى طاعة ربهم واستغفارهم لذنوبهم عسى الله أن يغفر لهم، وقالت جماعة أخرى لا حاجة إلى الدعوة لقوم عصوا ربهم واتبعوا أهواءهم، فأجابوهم: بأن رجاء الهداية والتقوى لا يزال باقياً، وإن لم يهتدوا

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٤ ص ٢٩٢).

(٢) سورة الأعراف آية: (١٦٤).

فحسبنا أن قمنا بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

إن المراهقين في المجتمعات المعاصرة تستهويهم طوائف ذات أفكار إلحادية خبيثة، واتجاهات سلوكية منحرفة تهدف إلى طمس الروح الدينية الثائرة في نفس المراهق، أملاً في صرف المراهق المسلم عن عقيدته، وهذا يستوجب تكثيف الدعوة والعمل على إذكاء العواطف الدينية السامية في نفس المراهق كي لا يضل ولا يشقى.

[٣] ـ الإقتران:

يلعب الإقتران دوراً مهماً في تكوين العاطفة نحو الأشخاص الذين يشتركون في بعض الصفات الموجودة في أشخاص آخرين تربط الفرد بهم عاطفة محبة أو كره فتنشأ عاطفة جديدة موجهة إلى هؤلاء الأفراد من نوع العاطفة السابقة التكوين.

«ويظهر أثر هذا العامل في تكوين عاطفة لدى شخص حول موضوع ذي صلة أو شبه صلة بموضوع آخر سبق أن تكونت لدى هذا الشخص عاطفة مماثلة نحوه، فمثلاً ـ حين يفقد أحد الناس والده الذي يحبه ويحترمه، فإذا رأى رجلاً يشترك مع والده في صفات معينة، فقد يثير ذلك فيه عاطفة الحب والإحترام نحو الرجل»[1].

لذا يجب على المؤسسات التربوية والدعاة المسلمين أن يقدروا أهمية تربية العواطف المعنوية وتكثيرها والسمو بها، وأن

---

(١) علم النفس وأصوله وتطبيقاته (ص ١٤٥)، وانظر مبادىء علم النفس العام (ص ١٦٧٦) د/مراد.

يقدروا أهمية تـربية العواطف الماديـة أيضاً، حيث أن الأخيـرة إذا لم تصادف تربية دقيقة موجهة راشدة أدت إلى الجنوح والغلو الـذي يؤثر بطريقة سلبية على مستوى تكيف المراهق مع بيئته الإجتماعية.

إن تـربية العـواطف بهذا المستـوى لمن أهم عناصـر شخصية المراهق المسلم وتكاملها ذلك أنها تحدد عامة سلوكه واتجاهه، كما أن لهـا تأثيـر على الأحكام التي يصـدرهـا المـراهق على المسـائـل والقضايا التي تثور في نفسه وتثار في مجتمعه.

obeikandl.com

دراسة لأهم العواطف السائدة عند علماء النفس

[١] - عاطفة حب الأم لأبنائها:

يرى بعض علماء النفس أن عاطفة حب الأم لأبنائها تكون ساذجة في أول الأمر ثم تأخذ في التركيب والتعقيد بتكرار المواقف الإنفعالية.

«وسنأخذ على سبيل المثال كيفية تكون عاطفة الحب عند الأم لابنها. تكون هذه العاطفة في مبدئها بسيطة جداً، إذ تكون عبارة عن تركيز لدافع الأمومة من أجل العناية بالطفل الضعيف، وحتى في هذه المرحلة البدائية، يمكن للعاطفة أن تولد عديداً من الخبرات التي ما كانت لتحدث في غيابها، فهي لا تسبب للأم مجرد إنفعال بسيط بالعطف والحنان نحو الطفل، بل تسبب لها باختلاف الظروف غضباً من أجل الحرص على مصلحته، أو عتاباً إذا كان شقياً، أو سروراً إذا كان سعيداً أو ألماً أو قلقاً إذا مرض، وتسبب بالتالي إتخاذ مواقف وإجراءات خاصة تجاه هذا الشخص موضوع الإنفعال.

وهكذا يتبين لنا إلى أي حد تكون العاطفة في شكلها المعقد ليست مصحوبة فحسب بانفعال عاطفي رقيق، بل يدخل في تركيبها

إنفعالات عدة تثيرها الظروف المحيطة بالشخص موضوع الإنفعال، وكلما تعقدت العاطفة زادت الإنفعالات الناتجة عنها اتساعاً، وتعددت مظاهر النشاط الصادر عنها»[1].

إن عاطفة حب الأم لأبنائها من العواطف الفطرية المركوزة في الطبيعة الإنسانية فليست وليدة الأحداث والخبرات التي تمر بها الأم في الحياة، إن عاطفة محبة الأم لأبنائها تظهر آثارها السلوكية منذ اللحظة الأولى لميلاد الطفل، وقد تتوارد الإنفعالات السابقة بين لحظة وأخرى من حين الميلاد، حيث يلاحظ سرور الأم وفرحها بسلامة الطفل وتعنى به أكثر من عنايتها بنفسها، ولو تغير حاله لسبب عارض، فسرعان ما تضطرب الأم وتقلق وتخاف ويزداد حرصها عليها، وربما أنستها هذه الإنفعالات الآلام الناتجة في بدنها من آثار الولادة، فلا تكاد تحس بها، لأن خوفها وقلقها على ابنها أشد وأعظم من هذه الآلام، والقرآن الكريم يصور لنا ضخامة هذه المحبة بمدى عمقها في قلب الأم.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

هذا مظهر صادق لعاطفة الأم نحو إبنها يبدو قوياً معقداً أشد التعقيد مركباً أعظم التركيب، فهذا فؤادها يبدو فارغاً ويسيطر عليها الخوف والقلق حتى كادت أن تعلن عن أمومتها له، وقد أنستها شدة فاعلية فطرة الحب الحاني على إبنها ما كان قد أوحى الله تعالى إليها حين طمأنها عليه وبشرها برسالته، هذه الأحداث والظواهر النفسية

---

(١) علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية (ص ١٤٢).

(٢) سورة القصص آية: (١٠).

وليدة الساعة، فلا تركيب إذن ولا تعقيد بمرور الأيام وتكرار الأحداث والخبرات، ولولا أن الله سبحانه ربط على قلبها ما تحملت ولا صبرت»[1].

إن عاطفة حب الأب لأبنائه فطرية تظهر مكتملة، فلا تركيب كذلك ولا تعقيد مع مرور الزمن وتكرار الأحداث والخبرات، ولهذا لا تحتاج الأم كما لا يحتاج الأب ـ التوصية على الأبناء، وعلى العكس من ذلك الأبناء فقد تكررت في القرآن الكريم توصية الأبناء على الآباء.

قال الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾[2].

«وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ﷺ. ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً ومعظمها في حالة الوأد، ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه، فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشىء لضمان إمتداد الحياة كما يريدها الله. وأن الوالدين ليبذلان من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان».

من هنا يتبين أن عاطفة حب الأب والأم لأبنائهما فطرية

---

(١) «تتكون العواطف كنتيجة مباشرة لاحتكاك الفرد ببيئته التي يعيش فيها وينشأ من هذا الإحتكاك والتفاعل مجموعة من الإنفعالات نحو موضوع معين . . .» قراءات في علم النفس (ص ١٩٣).

(٢) سورة لقمان آية: (١٤).

وليست مكتسبة من احتكاكهما بالأبناء حتى يصح القول بأنها تبدأ بسيطة جداً ثم يحدث لها بعد ذلك التركيب والتعقيد.

إن هذه العاطفة الفطرية إذا ما تعارضت مع عاطفة العقيدة الدينية بأن اختلفت بين الطرفين، قدمت عاطفة العقيدة وتنوسيت عواطف الأمومة والأبوة والبنوة.

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[1].

إن عاطفة محبة الله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله تأتي في المقام الأول من عواطف الإنسان وميوله، وسيادة هذه العواطف السامية يحول دون انحراف العواطف الإنسانية الأخرى مهما تعددت وتنوعت.

[٢] ـ عاطفة اعتبار الذات:

«تعتبر عاطفة إعتبار الذات المصدر الأساسي لأكثر خبراتنا الإنفعالية، وأكثر جهودنا شدة ودواماً، أي أن أقوى دوافع السلوك تصدر عن هذه العاطفة، تصور هذه الطاقة التي لا تنفذ المتوفرة في عاطفة الذات لدى شخص عظيم الطموح، تصور الجهود الجبارة التي يبذلها منذ طفولته إلى شيخوخته ليكون ممتازاً على غيره، وتصور هذه المواظبة على أعماله، والتي تؤدي به إلى أن يضحي بسعادته وراحته وسعادة زوجته وأبنائه من أجل هذا الطموح، ثم أي

---

(١) سورة التوبة آية: (٢٤).

حزن ينتابه إذا لم يحقق غرضه، وأي سرور يحسه إذا نجح.

وتتسع عاطفة اعتبار الذات بحيث تتعدى الذات إلى كل ما يتصل بها، ويشمل ذلك المنزل الذي يعيش فيه والكتب التي يقرؤها والملابس التي يلبسها، وأبناءه (سواء كان يحبهم أو لا يحبهم). إن كل هذه العناصر تكون ذاته الكبرى، فما يمسها من مدح يثير زهوه وما يوجه إليها من مذمة يثير ألمه...»[1].

إن المنهج الإسلامي لا يقر عاطفة اعتبار الذات بشكلها السابق، وذلك أن إطلاق النفس في هذا الإتجاه جنوحٍ بالعاطفة عن المسار الصحيح حيث إن المنهج الإسلامي يعمل دوماً على استمرار التوازن والإعتدال في حياة الفرد والجماعة، فالإسلام لا يحرم المراهق من متعة التفوق في الدراسة والبحث لأنها عامل هام في الإبتكار والتجديد في الآلات والأدوات التي يستعان بها في العصر الحديث، لكن الإسلام لا يرضى للمراهق المسلم أن تسيطر هذه العاطفة على سلوكه العام فيزهو ويفتخر على غيره ويشعره بتفرده وتميزه عنه، لهذا فإن الإسلام يعمل على التخفيف من حدة هذه العاطفة كي لا توقع صاحبها في مهالك الغرور والكبر.

روى الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

إن نشر مشاعر الود والمحبة بين المسلمين يقلل من غلواء هذه العاطفة ويحول دون الزهو والتعالي بكافة أشكاله.

---

(١) علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية (ص ١٤٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان ـ باب ـ محبة المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه.

إن منهج الإسلام للتربية يفرض على المسلم أن يتقن عمله وأن يجتهد فيه وأن يراقب وجه الله تعالى، فهو المطلع على ظاهر عمله ومستتره، وهو في الوقت نفسه لا يرضى للمسلم أن يتجاوز حدود الإعتدال في بذل الجهد، كما لا يرضى أن يضحي بسعادته وراحته وسعادة زوجه وأبنائه من أجل إشباع هذه العاطفة التي لا يرتوي ظمؤها أبداً.

روى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت بلى يا رسول الله قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً»(١).

---

(١) صحيح البخاري كتاب ـ النكاح ـ باب ـ لزوجك عليك حقاً.